كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف في حفل افتتاح "كرسيّ التربية على المواطنة البيئيّة والتنمية المستدامة (CEECDD)" التابع لـ"مؤسّسة ديان" في جامعة القدّيس يوسف، يوم الجمعة الواقع في ٦ أيّار (مايو) ٢٠١٦، في الساعة الرابعة من بعد الظهر، في قاعة فرانسوا باسيل، حَرَم الإبتكار والرياضة (CIS)، جامعة القدّيس يوسف، طريق الشام.

العزيزة ديان،

عليك اليوم أن تحيّي ضيوفنا ومضيفينا لأنّ الساحة لكِ والحلم الذي أصبح واقعًا هو حلمكِ، حلم تأسيس كرسيّ في جامعة القدّيس يوسف للمناداة بالمواطنة البيئيّة والتنمية المُستدامة في مختلف أشكالها، في المدارس ومختلف مؤسّسات المجتمع المدنيّ، وكذلك في الجامعات والمراكز البحثيّة المناسبة. بالطبع، الأمر ليس من باب التبشير، ولكن هذا يعني أنّ عمل هذا الكرسيّ يتّخذ إنطلاقًا منه طابع الخدمة المقدّسة يقوم بها الشباب كما البالغون. عانت المؤسّسة من التأخير والتردّد حول إدراج وتعيين من سيشغل منصبها وشروط أساسيّة من خلال المجالس واللّجان التابعة للجامعة. ولكن سيّدة ديان كانت هنا، حاضرة وناشطة، مصمّمة ومتنبّهة، بحيث يصبح مشروع إنشاء الكرسيّ مشروعًا قادرًا على العيش والازدهار. أنا لا أزال أرى إبتسامتها الصافية في اليوم الذي وُقِّع فيه الإتّفاق مع جامعة القدّيس يوسف، وكانت الطريق مفتوحة لكي يُقلِع الكرسيّ قويًّا بوعوده ومشاريعه.

إنّ مشروع الكرسيّ لم يكن أبدًا نتيجة خيال فكريّ أو نسخًا لفكرة عظيمة رصدتِها على أرصفة نيويورك. هذا الكرسيّ هو نتيجة لإرادة ثابتة واقتناع. قبل تأسيس الكرسيّ، مررتِ على مقاعد الدراسة، وهذا يعني أنّك عملتِ على ذاتك، وحضرتِ العديد من الندوات والمقرّرات في فرنسا والولايات المتّحدة التي تعالج مسألة المواطنة البيئيّة. بالطبع، لا بدّ أنّك راقبتِ لفترة طويلة

الميدان وحدّدتِ إحتياجات التربية على المواطنة والتربية من أجل التنمية المُستدامة لجيلٍ غالبًا ما يفتقر إلى معايير المواطنة وإلى تلك القدرة على التصرّف وفقًا لقواعد الحقوق والواجبات. هناك افتقارٌ للمعايير بالطبع، لكن يجب أن نبحث عن السبب ليس في الشباب نفسه الذين يتصرّفون عن طريق التمثّل بالآخرين والاقتداء الحسن بهم، ولكن في الموقف المضرّ في بعض الأحيان الذي يتّبعه البالغون الذين يتصرّفون إمّا بتعسّف أو بفساد. الأزمة اللّبنانيّة وفي ما يتعلّق بالنفايات والتي يرزح الشعب تحت وطأتها من يعيشون على هذه الأرض قد تعود بسرعة لتطفو على السطح : أليست بالفعل أزمة لا بل فشل أصاب الأخلاق السياسيّة أو، بعبارة أخرى، فساد سياسة الكبار في تحقيق الخدمة الوطنيّة ؟ لذلك سيرتبط اسمكِ واسم عائلتكِ بهذا الكرسيّ الذي يعدنا بالعديد من النشاطات التي تحرّرنا وتعطينا تنشئة في هذا المجال.

أيّها الأصدقاء الأعزّاء، حضرة أستاذ الكرسيّ المحترم،

لديكم مسبقًا خططكم لإطلاق أنشطة الكرسيّ في محاور ونقاط وفصول، ممّا يدلّ على أنّ هذا الكرسيّ يتمتّع مسبقًا ببنيته الفكريّة ومشاريعه المستقبليّة. أودّ أن أغتنم هذه الفرصة في هذه اللّحظة لأقول شيئًا، معوّلاً على تجربتي الفكريّة والمدرسيّة الطويلة نوعًا ما في هذا المجال.

النقطة الأولى التي أودّ أن أشدّد عليها هي ضرورة وضع الشباب والأطفال في امتحان المواطن المزوّد بالحسّ المدنيّ. الخطابات حول القِيَم تبقى حبرًا على ورق إن لم تُتَرجَم على أرض الواقع بعمل حسيّ، وإن لم تخضع للتحقّق منها. أبدأ بالقول إنّ البرامج ينبغي أن تتبلور بالفرنسيّة بالطبع ولكن عدم نسيان اللّغة العربيّة وفي المرتبة الثانية، الإنجليزيّة. بهذا المعنى، ربّما كان من المستحسن ومن الضروريّ رفع هذا المشروع إلى السلطات المحليّة والبلديّة والإجتماعيّة لكي تأخذ بعين الاعتبار الحاجات الأكثر حساسيّة، إنطلاقًا من نهج إستقرائي، وتصبح مقاربة الكرسيّ أكثر شمولاً وأهميّة.

ثانيًا، صحيح أنّ البيئة هي الكلمة المألوفة وأنّ علاقة قرابة قويّة تربط بين التربية البيئيّة والتربية على المواطنة إلى حدّ أنّ المواطن الصالح هو الذي يُقيم علاقة سويّة ومهمّة مع الطبيعة والثقافة المحيطة، عن طريق التنمية المُستدامة، من بين أمور أخرى. ولكنّي أودّ أن أركّز، في السياق اللبنانيّ، على التربية على المواطنة من دون البيئة وعلى قِيَم المواطنة العمليّة من أجل المساهمة في ظهور أجيال جديدة تعمل بشكل ملتزم وبشكل جدّي في هذه العمليّة التي تنطلق من الصالح العام، وتعميق الحسّ بالدولة والمنهج النقديّ الإيجابيّ للمشاكل، والقدرة على الاختيار ديمقراطيًّا وفقًا لضميرها وليس وفقًا لولاءاتها العمياء، والمصالحة مع السياسة كخدمة، واحترام الحقوق والواجبات المدنيّة والوطنيّة المترتّبة على كلّ شخص ومن أجل كلّ شخص، والقيام بحملة ضدّ الفساد وتغيير نظرة هذه الأجيال إلى الخدمة العامّة، .... والقائمة طويلة كمواضيع يجب تنفيذها بذكاء وأهداف مُعلنة.

وأخيرًا، أظهرت البرامج الرسميّة الجديدة حول التربية المدنيّة والتنشئة على المواطنة حدودها وعدم فعاليّتها ناهيك عن الفشل، ممّا يزعج أقرب أصدقائنا الذين ساهموا بقلبٍ كبير في بلورتها. وآخذ مثالاً على ذلك مسألة تعلّم ما يتعلّق بحقوق وواجبات المواطنين المدنيّة المترتّبة على كلّ إنسان. إذا طرحتم السؤال على تلميذ في الصفّ الرابع المتوسّط حول هذا الفصل، يمكنه أن يورد بعض المبادئ المخزّنة في ذاكرته لا أكثر، من دون اقتناع أو قدرة على الشرح. ولكن مسألة الحقوق والواجبات حاسمة وأساسيّة من أجل بلورة ثقافة مدنيّة. لا يسعني إلاّ أن أتمنّى للكرسيّ تطوير جزء كبير وجوهريّ للإستفادة من هذا الموضوع الذي تحتاج إليه مدارسنا لكي تعطي تنشئة إلى أجيال عليها اكتساب فكرة المواطنة باعتبارها وسيلة ضروريّة لتأسيس العيش المشترك وتعزيز فكرة الدولة. فلنتذكّر أنّ أحد أسباب رحيل الشباب والكبار من بلادنا ليس مبرّرًا بأسباب إقتصاديّة أو سياسيّة فحسب، ولكن أساسًا، هو مبرَّر بغياب الدولة وانتقاص إحترام الصالح العام. كم مرّة نسمع من يقول : كيف نعيش في بلد حيث لا وجود لأنظمة إلا تلك المتعلّقة بالمصلحة الفرديّة والفساد المُعمّم ... من الأفضل لنا أن نرحل.

أيّها الأصدقاء الأعزّاء، العزيزة ديان،

كما تلاحظون، أنا متحمّس لمشروعكم الذي يمكن أن يواجه التحدّي، على الأقلّ جزئيًّا، من أجل التنشئة على المواطنة وعلى المواطنة البيئيّة ومعها التنمية المُستدامة، مع الأخذ بعين الاعتبار هذه الجملة الجوهريّة لقداسة البابا فرنسيس : "نحن نعيش ونستهلك بغير حساب، متناسين أنّ أجيالاً لديها الحق في الحصول على نصيبها من خيرات الأرض". معًا نواجه التحدّي، متذكّرين دومًا هذه الجملة التي قالها جبران خليل جبران : "نحن في الواقع أبناء هذه الأرض وأبناء الحياة" ؛ فالأمر يتطلّب المزيد من التحفيز والاقتناع لنسعى إلى تشييد صرح ثقافيّ حقيقيّ قائم على العدالة والسلام والمحبّة والتضامن.

أمنياتنا بالعمر المديد للكرسيّ !!